
قبس من نور الصحابة والتابعين

د. محمود جيلاني



خالد بن الوليد

المحتويات

- 3.....نسب خالد وقبيلته
- 5.....خالد قبل الإسلام
- 6.....إسلام خالد
- 9.....خالد في غزوة مؤتة:
- 11.....خالد القائد زمن الرسول
- 13.....خالد في غزوة حنين:
- 16.....خالد بن الوليد وحروب الردة
- 18.....خالد في العراق
- 22.....خالد في معركة اليرموك
- 27.....الخلاف بين خالد وعمر
- 29.....وفاة خالد

نسب خالد وقبيلته

كان خالد بن الوليد ﷺ من بني مخزوم أغنى عشائر قريش مالا وجاها، وأوفرها نصيبا من الأخلاق العربية الكريمة، وهي العشيرة التي كان لها قيادة الفرسان في حروب قريش.

❖ أمه هي لبابة الصغرى بنت الحارث الهلالية، وشقيقاتها (خالات خالد بن الوليد) هن:

○ أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث زوجة رسول الله.
○ أم الفضل لبابة الكبرى بنت الحارث الهلالية، زوج العباس بن عبد المطلب عم النبي .

○ أسماء بنت عميس الخثعمية، تزوجت من جعفر بن أبي طالب، ثم تزوجها أبي بكر الصديق ثم تزوجها علي بن أبي طالب.

○ سلمى بنت عميس الخثعمية، زوج حمزة بن عبد المطلب.
وأمهن جميعا هي هند بنت عوف بن زهير بن الحارث، التي يقال أنها أكرم النساء أصهارا.

❖ وأبوه الوليد بن المغيرة الملقب "بالوحيد" لأنه كان يكسو الكعبة وحده سنة، وتكسوها قريش مجتمعة سنة أخرى، وكان يأمر ألا تُوقد لغيره بمنى نار لإطعام الحجيج.

❖ وعمه الأول هشام بن المغيرة هو القائد العسكري لقريش في حرب الفُجار التي حدثت قبل الإسلام مباشرة. ولما مات لم تُقَم قريش سوقا بمكة ثلاثا حسرة عليه. وهشام بن المغيرة هو والد حنتمة بنت هشام أم عمر بن الخطاب، وهو أيضا والد عمرو بن هشام (أبو جهل).

❖ وكان لعمه الثاني الفاكه بن المغيرة بيت للضيوف يدخلون فيه بغير استئذان.

❖ وعمه الثالث أبو حذيفة أحد الأربعة الذين أخذوا بأطراف الرداء الذي وضع فيه الحجر الأسود عند بناء الكعبة، بناء على اقتراح سيدنا محمد قبل البعثة.

❖ وعمه الرابع أبو أمية بن المغيرة يلقب بزاد الراكب لأنه كان يكفي أصحابه في السفر مؤونتهم فلا يتزودون بزاد معه. وهو والد السيدة أم سلمة بنت أبي أمية أم المؤمنين، ومن ثم، فالسيدة أم سلمة هي بنت عم سيدنا خالد.

فعائلة سيدنا خالد العريقة أورثته إذن الكثير من القيم العالية. غير أنني أريد أن ألمح إلى قيمة الصرامة والإقدام وعلو الهمة التي ورثها عن أبيه، فحين ترددت قريش في هدم الكعبة لما أصابها السيل وأرادوا بناءها من جديد، قام حينها الوليد بن المغيرة فأخذ المطرقة وقال: " اللهم لا نريد إلا خيرا". وضرب أول ضربة ثم تبعه الآخرون.

خالد قبل الإسلام

لم يشارك خالد في غزوة بدر أولى المعارك الكبرى بين المسلمين والمشركين، وكانت غزوة أحد هي أول معارك خالد ضد المسلمين، والتي تولى فيها قيادة ميمنة المشركين، واستطاع خالد بذكائه تحويل دفة المعركة لصالحهم، بعدما استغل خطأ رماة المسلمين الذين خالفوا أمر رسول الله ﷺ وتركوا الجبل من أجل جمع الغنائم بعد أن انتصر المسلمون نصرا ساحقا في بداية المعركة، فانتهز خالد ذلك الخطأ ليلتف حول جبل الرماة ويهاجم بفرسانه مؤخرة جيش المسلمين، مما جعل الدائرة تدور على المسلمين، وتتحول هزيمة المشركين إلى نصر.

وشارك خالد أيضًا في صفوف المشركين في غزوة الخندق، وقد تولى هو وعمرو بن العاص تأمين جيش المشركين في مائتي فارس، خوفًا من أن يتعقبهم المسلمون.



ثم بدأ الإسلام يقترب من خالد بإسلام شقيقه.. الوليد وهشام، وكان الوليد قد وقع في الأسر يوم بدر وطُلب لفك أسرهِ أربعة آلاف درهم فدية، فلما دفعت الفدية رجع إلي مكة ، ثم ما أن وصل إليها حتى أعلن إسلامه فقالوا: " هلا أسلمت قبل أن تدفع الفدية؟" فقال:

”خشيت أن يظن بي أنني أسلمت جزعا من الأسر“

فحبسه أهله وعذبه حتى أفلت منهم وهاجر إلي النبي مشيا على الأقدام. وتلك لمحة أخري من لمحات أسرة خالد التي حيرت الناس في أخلاقها وهمتها العالية.

وبعد صلح الحديبية بعث الوليد إلي شقيقه خالد برسالة يقول فيها: أما بعد، فإني لم أرَ أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام، وقد سألني رسول الله عنك وقال: (أَيُّنَ خَالِدٍ؟) فقلت: يأتي الله به. فقال: "مِثْلُهُ لَا يَجْهَلُ الْإِسْلَامَ! وَلَوْ كَانَ جَعَلَ نِكَايَتَهُ وَجَدَهُ مَعَ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَلَقَدَّمْنَاهُ عَلَى غَيْرِهِ"، فاستدرك يا أخي ما فاتك فقد فاتك مواطن صالحة. فكان إسلام خالد هو جواب هذه الرسالة..

يقول خالد: " فلما جاءني كتابه نشطت للخروج وزادت رغبتني في الإسلام، وسرتني مقالة رسول الله ورأيت في النوم كأنني في بلاد ضيقة جدبة فخرجت إلى فضاء أخضر واسع. فقلت إن هذه الرؤيا حق،

فخرجت للمدينة و أسلمت .. وأسلم معه في نفس اليوم عمرو بن العاص
وعثمان بن طلحة.

فلما وصل المدينة جاءه أخوه فقال: إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علم
بقدمك وهو ينتظرك، يقول خالد: فأسرعت الخُطاء فإذا به واقف يبتسم
فسلمت عليه بالنبوة: فقال: " الحمد لله الذي هداك، قد كنت أري لك
عقلا ورجوت ألا يسلمك إلا لخير". يقول عمرو بن العاص:

**مَا عَدَلَ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِخَالِدِ بْنِ
الْوَلِيدِ فِي حَرْبِهِ مِنْذُ اسْلَمْنَا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِ.** رواه أحمد

ما أعظمك يا رسول الله في حسن الدعوة وحسن اللقاء وإكرام أهل
الكرم.

نبذة عن عثمان بن طلحة

الصحابي الثالث الذي أسلم مع خالد وعمرو بن العاص في نفس اليوم
وقال عنهم النبي أنهم وجوه أشرف مكة هو عثمان بن طلحة الذي كان
يحمل مفاتيح الكعبة في الجاهلية.

ذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ قَالَ : كُنَّا نَفْتَحُ الْكَعْبَةَ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
يَوْمًا يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ الْكَعْبَةَ مَعَ النَّاسِ فَأَغْلَظْتُ لَهُ (كان طلحة لا يزال
مشركا) وَنَلْتُ مِنْهُ فَحَلَمَ عَنِّي ثُمَّ قَالَ : " يَا عُثْمَانُ لَعَلَّكَ سَتَرَى هَذَا

المِفْتَاحَ يَوْمًا بِيَدِي أَضَعُهُ حَيْثُ سِتُّتُ" فَقُلْتُ: لَقَدْ هَلَكْتُ قُرَيْشُ يَوْمَئِذٍ
وَذَلَّتْ . فَقَالَ : "بَلْ عَمَرْتُ وَعَزَّتْ يَوْمَئِذٍ" .

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ فَتْحِ مَكَّةَ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "يَا عُمَانُ انْتَبِي بِالْمِفْتَاحِ"
فَأَتَيْتُهُ بِهِ فَأَخَذَهُ مِنِّي وَفَتَحَ البابَ فَدَخَلَ البَيْتَ وَصَلَى فِيهِ رَكَعَتَيْنِ ، فَقَامَ
إِلَيْهِ عَلَيَّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وَمِفْتَاحُ الكَعْبَةِ فِي يَدِهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللهِ اعطني
المفتاح واجمع لنا الحجابة مع السقاية .. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ "أَيْنَ عُمَانُ بْنُ طَلْحَةَ؟" فُدْعِيَ لَهُ فَقَالَ لَهُ: "هَآكَ مِفْتَاحَكَ يَا
عُمَانُ .. اليَوْمَ يَوْمٌ بَرٌّ وَوَفَاءٌ" . ، وَقَالَ : "خُذُوهَا خَالِدَةً تَالِدَةً لَا يَنْزَعُهَا
مِنْكُمْ إِلَّا ظَالِمٌ" . وَتَحَقَّقَتْ نَبْوَةُ رَسُولِ اللهِ ، وَلا يَزَالُ مِفْتَاحُ الكَعْبَةِ فِي
أَوْلَادِ عُمَانَ بْنِ طَلْحَةَ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا .

ولعثمان بن طلحة موقف مروءة مشهور فحين هاجرت السيدة أم
سلمة من مكة تريد اللحاق بزوجها أبي سلمة بالمدينة وجدها عثمان
بن طلحة وقد تقطعت بها السبل فأوصلها لزوجها في المدينة رغم أنه
كان لا يزال مشركا لكنها مروءة الرجال . وقد امتدحته أم سلمة فقالت:
ما رأيت أكرم من عثمان بن طلحة .

ملاحظة: أبو سلمة هو ابن عمه النبي صلى الله عليه وسلم ، فأمه برة
بنت عبد المطلب عمه النبي ، كما أنه كان أخا للنبي من الرضاعة ،
فلما استشهد في غزوة أحد تزوج النبي بعده السيدة أم سلمة .

لطائف

خالد في غزوة مؤتة:

صحاب خالد النبي ﷺ ثلاث سنين عهد إليه النبي فيها بالكثير من الأعمال الصغيرة، وأشركه في بعض الأعمال الكبيرة.

فكان أول عمل اشترك فيه خالد بعد إسلامه بشهرين هو غزوة مؤتة، وكان جيش المسلمين فيها ثلاثة آلاف منهم نخبة من كبار الصحابة، واختار النبي زيد بن حارثة لقيادة الجيش، على أن يخلفه جعفر بن أبي طالب إن قتل، ثم عبد الله بن رواحة إن قتل جعفر، فإن قتل الثلاثة فليختر المسلمون قائداً من بينهم، ولم يتم تسمية خالد لأي قيادة في هذه الغزوة ربما لحدثة عهده بالإسلام، أو لعل الرسول ﷺ أراد أن يختبر فيه معني الجندية فهو يعلم ولا شك أن القيادة في دمه لكن هل الجندية أيضا فيه؟ وبالفعل نجح خالد في الاختبار وتلك صورة من صور تربية الرسول لأفذاذ الرجال.

وواجه الجيش الضئيل ما يقرب من مائة ألف من الروم والقبائل العربية المتحالفة معهم. وبدأت المعركة، وواجه المسلمون موقفاً عصيباً، حيث استشهد القادة الثلاثة الذين عينهم رسول الله، وقد وصف رسول الله لأصحابه ما حدث قبل أن يرجع الجيش، فقال: أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدٌ، فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا جَعْفَرٌ فَأُصِيبَ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ رَوَاحَةَ فَأُصِيبَ، فَأَخَذَهَا سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ فَفَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ. حديث صحيح.

وبالفعل تولي خالد القيادة فصنع أفضل ما يمكن صنعه في مثل هذه الظروف وهو الانسحاب الآمن، وكان خالد ﷺ آخر من انسحب وهو يحمي ظهور جنده، وانكسرت في يديه 9 أسياف يومئذ، وكان يقول:

**لقد دُقَّ في يدي يومَ مؤتَةَ تسعةَ أسيافٍ، وصبرتُ في يدي
صفيحةً لي يمانيةً. صحيح البخاري**

ومن بعد هذه الغزوة لم يستعمل رسول الله ﷺ خالد إلا قائدا أو على الأقل مشاركا في القيادة إذا كان الرسول نفسه موجودا في المعركة كما حدث في فتح مكة وغزوة حنين حيث كان خالد أحد قادة الجيش في هاتين الغزوتين رغم وجود النبي فيهما.



مسجد خالد بن الوليد بحمص

خالد القائد زمن الرسول

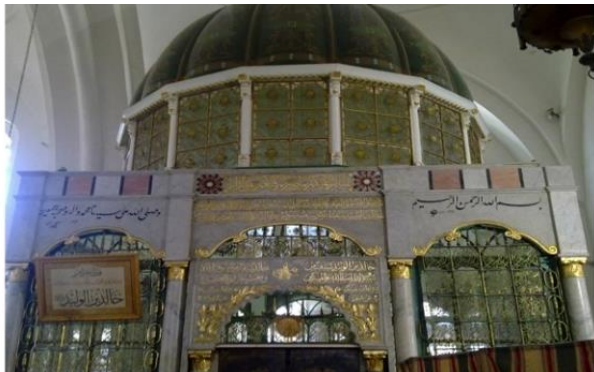
بعد شهور من صلح الحديبية، نقضت قريش أحد شروط الصلح ، عندما هاجم بنو بكر حلفاء قريش قبيلة خزاعة وهم حلفاء الرسول. فعندئذ توجه الرسول في جيش من عشرة آلاف لفتح مكة، وقسم الجيش إلى أربعة أقسام تولى بنفسه قيادة أحدها وأمّر الزبير بن العوام وسعد بن عباد وخالد بن الوليد على الثلاثة الأخرى.

ثم أرسله الرسول ﷺ في سرية من ثلاثين فارساً بعد فتح مكة لهدم صنم يسمى العزى وكان من أعظم أصنام المشركين وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الْثَالِثَةَ الْآخَرَیٰ ﴿٢٠﴾ ، فهدمها خالد.

ثم كانت زلة خالد الكبرى حين أرسله الرسول ﷺ قائداً على 350 من المهاجرين والأنصار، في سرية إلى بني جذيمة، ولم يأمره بقتال. فلما وصل إليهم وجدهم حاملين للسلح (وكانت تلك عادتهم في استقبال ضيوفهم)، فدعاهم خالد إلى الإسلام، فقالوا: صَبَأْنَا صَبَأَنَا (يقصدون أنهم فعلا تركوا الشرك وأسلموا، لكن خالد فهمها أنهم تركوا الإسلام)، فشك خالد في أمرهم خاصة مع حملهم السلاح فتسرع وأنشب القتال، وصار خَالِدٌ يَقْتُلُ مِنْهُمْ وَيَأْسِرُ.

فبلغ النَّبِيَّ ﷺ ما صنع خالد فَرَفَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ فَقَالَ: " اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ "، صحيح البخاري

ثم أرسل الرسول ﷺ عليًا رضى الله عنه إلى بني جذيمة ومعه أموال كثيرة لدفع دية قتلاهم، وتعويضهم عن كل شيء كسر أو فقد، حتى عوضهم عن ميلغة الكلب المكسورة (الإناء الذى يشرب فيه الكلب) فدفع لهم ثمنها، وزاد لهم حتى أَرْضاهم.



ضريح خالد بجمص

خالد في غزوة حنين :

ولم تمض شهور معدودة حتى كان الرسول ﷺ يمنح الثقة لخالد مرة أخرى (حيث اعتبر ﷺ أن ما فعله خالد ببني جذيمة كان خطأ غير مقصود وغير متعمد، لاسيما وقد ندم خالد على ما فعله واعترف بخطأه)، فأسند إليه قيادة الخيل يوم غزوة حنين وهي الغزوة التي قال فيها المسلمون "لن نُغَلَبَ اليوم عن قلة" وذلك لكثرة عدد المسلمين يومئذ، غير أن الكثرة في جيش المسلمين لا قيمة لها ما لم توقن أن النصر من عند الله وحده قبل النظر للعدد أو العدة، وللأسف كان من أسلم حديثا بعد فتح مكة يمثلون جزءا كبيرا من هذا الجيش وقد خرجوا طمعا في الغنيمة.

وبسبب هذه الكثرة سعى الرسول ﷺ إلى تجار السلاح في مكة المكرمة مثل صفوان بن أمية، ونوفل بن الحارث بن عبد المطلب، فطلب منهما سلاح، فسأل صفوان بن أمية الرسول ﷺ - كان صفوان لا يزال مشركا- فقال: أغضب يا محمد؟ أي هل ستأخذ السلاح غصبا عنى؟ فقال ﷺ: "بَلْ عَارِيَةٌ مَّضْمُونَةٌ" أي على سبيل الاستعارة بالإيجار والضمان، فإذا تلفت تأخذ ثمنها كاملا.

وهنا قضية فقهية ملفتة في هذه الغزوة إذ استعان الرسول ﷺ بسلاح غير المسلم لقتال غير المسلم.

ومع ذلك، كان نقص السلاح أحد أسباب الهزيمة في بداية المعركة، فعن البراء بن عازب رضي الله عنه أن رجلاً قال له يا أبا عمارة : أفررتم يوم حنين؟ قال: لا والله، ما ولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن خرج شُبَّان أصحابه حُسْرًا ليس عليهم سلاح، أو كثير سلاح فأتوا قوما رُماةً، لا يكاد يسقط لهم سهم، فرشقوهم رشقاً ما يكادون يُخْطِئُونَ.

صحيح البخاري

ثم وقع المسلمون في الكمين نصبه لهم دريد بن الصمة وهو من قادة هوازن وكان يومها عجوزاً كهلاً يبلغ من العمر ما يزيد عن 100 عام، لكنه نجح في الإيقاع بجيش المسلمين في كمين تبعثر بسببه جيش المسلمين وفر أغلبهم، وذلك كما وصفهم الله تعالى في قوله: ﴿لَقَدْ

نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ

فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَايَأْتُمْ

مُدْبِرِينَ ﴿١٥﴾ . وثبت رسول الله ﷺ في قلة قليلة من أصحابه

من المهاجرين والأنصار وهو يقول: إليّ عباد الله، أنا رسول الله، أنا

النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب صحيح البخاري..

وكان العباس عم النبي أخذ بلجام بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم

طوال الغزوة لم يفارقه، فطلب الرسول من عمه العباس وكان رجلاً

صَيِّتًا (عالي الصوت) فنادى يا أصحاب الشجرة (يقصد الذين بايعوا

النبي بيعة الرضوان تحت الشجرة التي ورد ذكرها في قوله تعالى ﴿

لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ ﴿١٨﴾. قال العباس: فوالله لكأن عطفتهم (رجوعهم) حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك! يا لبيك! **رواه مسلم**. أي كانت رَجَعَتَهُمْ حين سمِعوا صوتي مثل اندفاع البقر وهي تحمي صغارها بكل قوة.

وكان من أوائل من رجعوا خالد بن الوليد، وقاتل يومئذ حتى أثنخته الجراح فسقط على أرض المعركة لا يستطيع حراكا.. ثم كان من مناقب سيدنا خالد أن سأل الرسول ﷺ عنه خصيصا وقت المعركة، فلما علم أنه أصيب إصابة بليغة ذهب إليه النبي ومسح على جرحه، فأكمل خالد المعركة وما يشعر بجرحه، وذلك من معجزات النبوة. وقال ﷺ عن خالد يومها:

نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ سَيْفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ . صححه الألباني

وبعثه ﷺ بعد ذلك أيضا في عدد من السرايا الدعوية الصغيرة لنشر الإسلام، وقد يكون قد فعل ذلك للتأكد من أنه وعى درس بنى جذيمة، أو ليدربه على الدعوة ويفيده من صحبة فقهاء الصحابة حتى تكتمل ملامح الشخصية في شخص خالد بن الوليد، فالجهاد في الإسلام ليس قتلا وطعنا إنما هو في الأساس دعوة إلى الله ودفعا لظلم الظالمين. وتلك تربية فريدة من رسول الله لأصحاب الهمم عالية من أصحابه، وتقدير ينم عن معرفته للمعدن الحقيقي ولو كان خفيا أو كان مصقولا، إنه سيد السادة ومربي الرجال والأبطال.

خالد بن الوليد وحروب الردة

ارتدت بعد وفاة الرسول ﷺ العديد من القبائل العربية إما تعصبا لقبيلتهم أو امتناعا عن أداء الزكاة أو استكبارا عن الصلاة.. إلى غير ذلك من الأسباب التي لم يقبلها أبو بكر الصديق وعزم على قتالهم ولو بمفرده كما قال:

لو خذلتني يميني لقاتلنهم بشمالي.

وتلك من همة الصديق العالية فكأنه يري نفسه وحده المسئول عن هذا الدين، وقد ارتدت للأسف معظم القبائل فأرسل أبو بكر أحد عشر جيشا إلى القبائل التي ارتدت أو منعت الزكاة، وكانت المعركة الأصعب على الإطلاق مع مسيلمة الكذاب الذي ادعى النبوة في بنى حنيفة، واستطاع أن يجمع حوله الآلاف من المرتدين وأن يهزم جيشين من المسلمين قبل أن يتوجه إليه خالد بن الوليد ويتولى قيادة المسلمين هناك.

وقد قاتلت بنو حنيفة (عشيرة مسيلمة) يومئذ قتالا شديدا، وكانوا من الكثرة حتى كان المسلمون بينهم كجزيرة في وسط بحر، فكان النصر لهم في أول الأمر، لكن خالد بادر بتنظيم جيشه سريعا ووضع نظاما عبقريا جديدا في المعركة... فقال:

تَمَايَزُوا أَيُّهَا النَّاسُ .. لِنَعْلَمَ مِنْ أَيْنَ نُؤْتَى

فأمر خالد كل قبيلة أن تحارب تحت رايتها... وهكذا لمس خالد بعبقريته وترا حساسا عند العرب، فوجه العصبية القبلية لخدمة الإسلام.. وساعده وجود العديد من صناديد الإسلام في الجيش...

منهم زيد بن الخطاب الذى صاح: لا وَاللَّهِ لا أَتَكَلَّمُ الْيَوْمَ حَتَّى نَهْزِمَهُمْ أَوْ أَلْقَى اللَّهَ فَأُكَلِّمَهُ بِحُجَّتِي! عَضُوا عَلَى أَضْرَاسِكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَاضْرِبُوا فِي عَدُوِّكُمْ، وَامْضُوا قُدَمَا " فكانت هذه هي آخر كلمة قالها حتى استشهد ولقي الله تعالى.

ومنهم البراء بن مالك الذى قال لأصحابه حين رأى أن أصحاب مسيلمة قد احتموا بحديقة، وعجز المسلمون عن فتحها ، فقال لهم: ألقوني من فوق السور فألقوه بالمقلاع وسقط داخل الحديقة وظل يحاول فتح باب الحديقة وأتباع مسيلمة يضربوه بسيوفهم ولا يبالى حتى فتح الباب ودخل المسلمون وكان نصر الله المبين.. فكان أول شيء فعله خالد بعد المعركة أن سأل عن البراء وحمله إلى خيمته

وظل يعالجه بيده شهرا.. حتى شفي.

وبمثل هؤلاء فتح المسلمون البلاد وبأمثال هؤلاء جاء إلينا الإسلام.



خالد في العراق

وجه الصديق جيشين للعراق أحدهما بقيادة خالد والثاني بقيادة عياض بن غنم. وكانت خطة الصديق في العراق تقضي بأن يتجه خالد من الجنوب إلي الوسط، ويتجه عياض من الشمال إلى الوسط وأيهما وصل أولاً إلي مدينة الحيرة بوسط العراق يصير أميراً على الجيشين وكان يقصد بهذا التخطيط تشتيت جهود الفرس.

ولما بدأ خالد الحرب كتب إلي الخليفة يستمده بألف فارس فأمده أبو بكر بفارس واحد وهو القعقاع بن عمرو التميمي !! فعجب أصحابه وقالوا: أتمده برجل واحد؟ قال:

لا يهزم جيش فيه مثل هذا، ولصوت القعقاع في الجيش خير من ألف رجل

فلم تمض أيام حتى علم المسلمون بُعدَ نظر الخليفة فيمن يختارهم، ففي أول لقاء بين خالد والفرس دعا قائد الفرس - هرمرز - خالدًا للمبارزة وكان قد أضمر نية الغدر فوكل جماعة من الفرسان ينقضون على خالد وهو مشغول بالمبارزة فيقتلونه فينهال الجيش العربي إذا رأي قائده يقتل في أول المعركة.. وكادت الخطة أن تتجح لولا أن هرمرز لم يقدر مهارة خالد وكان يظن أن المبارزة ستطول حتى يخرج الكمين لخالد لكن خالدًا لم يمهلَه فقتله في الجولة الأولى، فخرج الكمين لخالد وهو مشغول بالإجهاز على هرمرز وإذا بالقعقاع في لمح البصر يدرك

خالدا فيفر الكمين ثم يتبعه الجيش الفارسي مذعورا من المفاجأة والمهابة
وصدق أبو بكر.. "لا يهزم جيش فيه القعقاع".

تتابعت معارك خالد في العراق فانتصر في خمس عشرة موقعة خلال
شهور قليلة وفي كل معركة يكون هناك فكر عسكري عبقرى جديد فمرة
يخفي كمينين لا يعلمها الفرس ولا حتى بقية جيش المسلمين، حتى إذا
أنهك الجيشان خرج الكمين الأول فيقوي المسلمون ويضعف الفرس،
وقبل أن يفيق الفرس يخرج الكمين الثاني فينهى على نفسية الجيش
الفارسي بعد أن أعياه التعب واليأس.. وتلك براعة في استخدام الحرب
النفسية.

وفي معركة أخرى يفاجأ خالد الفرس بأنه قد زحف إليهم داخل سفن في
الفرات وهو ما لم تتوقعه الفرس من العرب الذين نشأوا في الصحراء
وينتبه الفرس لجيش خالد فيغلقوا بوابات نهر الفرات وتلتصق السفن
بالقاع في مشهد مرعب للعرب الذين يركبون السفن لأول مرة لكن خالد
يسأل بسرعة أهل البلاد عن السبب فيعلم أنه لا بد أن أحدا قد أغلق
القناطر فيخرج خالد بنفسه مع ثلة من الفرسان إلى القناطر فيقتل من
وجد هناك ويفتح القناطر ويتابع السير في مشهد أقرب إلى الأفلام لولا
أنه حدث بالفعل !!

والعجيب أن خالدا انتهى من مهمته ووصل للحيرة بينما تعثر الجيش
الثاني بقيادة عياض بن غنم في شمال العراق وانتظره خالد عدة شهور،

رافضا مشورة بعض قادته أن يستمر هو بدون جيش عياض، فرفض وقال: "هذه خطة الصديق ورأيه عندي يعدل أمة". وتلك من الموافقات الكبيرة بين أبي بكر وخالد وما أكثرها!! فقد كانا علي أعلى درجات التفاهم والاتفاق.

وحتى يحقق خالد خطة أبي بكر.. زحف بجيشه ليساند عياض فوجده عند مدينة تسمى الأنبار (تقع غرب العراق) وقد حفر أهلها حولها خندقا عميقا لا تستطيع الخيل عبوره، وكان عياض محاصرا لهم منذ ستة أشهر دون جدوى حتى وصل إليه خالد ففتحت في ساعات معدودة!!! فقد وصل خالد ورأى الخندق فقال: إِنِّي أَرَى أَقْوَامًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ،!! فتعجب عياض وهو الذي يحاصرهم منذ شهور، ولكن خالد كان دائما في حروبه يبحث عن الثغرة ووجدها فور وصوله. فقد خرج القوم فوق حصونهم ليشاهدوا الجيش الجديد القادم لهم، ورأى خالد أنهم ينظرون إليه وليس على وجوههم سائر ودون مبالاة.. فكانت خطته أن يجهز ألف رام بالسهام فيرموهم في لحظة واحدة بألف سهم ... وقال خالد: "فَارْمُوا عُيُونَهُمْ وَلَا تَوَخَّوْا غَيْرَهَا، فَرَمَوْا رَشَقًا وَاحِدًا، فَفَقِيَ أَلْفُ عَيْنٍ يَوْمَئِذٍ، فَسَمِيَتْ تِلْكَ الْوَقْعَةُ ذَاتَ الْعُيُونِ. وكان خالد قد أمر بذبج ضعاف الأبل فألقيت في الخندق وعبر عليها الجيش.

والعجيب أن خالدا كان قد عجز عن فعل شيء لخندق المسلمين يوم الأحزاب، لما كان مع قريش على شركه. ولكنه اليوم يتصرف بعبقرية

الإيمان وكأن الإسلام نور ليس فقط للقلوب والأرواح ولكنه أيضا للعقول والأذهان.

تابع خالد انتصاراته في العراق وتتابع الرسل على أبي بكر يبشرونه بالفتوح فقال كلمته المشهورة:

يا معشر قريش! عدا أسدكم على الأسد فغلبه ؛ أعقمت

النساء أن يلدن مثل خالد!

حجة خالد

حقق خالد عشرات الانتصارات في زمن قياسي بالعراق، لكنه كان يفقد شيء آخر سوى الانتصارات، فقد أحس برغبة شديدة أن يؤدي فريضة الحج، تقربا إلى الله وشكرا له وسعيا للغفران من الله على أخطائه خلال هذه المعارك، فخرج خالد حاجا من العراق لخمس بقين من ذي القعدة، متكما حجه، ومعه عدد قليل من أصحابه، فسار في طريق ، لم ير أعجب منه، ولا أشد صعوبة منه، لكنه كان الأقصر والأسرع، فكانت غيبته عن الجند يسيرة، حتى فوجئ الجند أن خالد وأصحابه مطلقون رؤوسهم!! ولم يعلم بحجه إلا من أفضى إليه بذلك من جيشه، بل ولم يعلم أبو بكر رحمه الله نفسه بذلك إلا بعد رجوعه، فعتب عليه ولم يزد على ذلك العتاب لشدة حبه له وثقته فيه رغم اعتراض عمر وغضبه الشديد من تصرف خالد، وربما كانت هذه الحادثة من أسباب حرص عمر على عزل خالد بمجرد توليه الخلافة بعد ذلك.

خالد في معركة اليرموك

كان خالد رضي الله عنه كابوساً على صدور الفرس لم يتنفسوا منه إلا بعد أن جاءت الأوامر لخالد من أبي بكر بترك العراق والتوجه لتعزيز المسلمين في الشام بعد أن خرج هرقل عظيم الروم بنفسه لقتال المسلمين في مئات الألوف من المقاتلين، فرماهم الصديق رضي الله عنه بخالد بن الوليد وقال كلمته المشهورة: **لَأَنْسِيَنَّ الرُّومَ وَسَاوَسَ الشَّيْطَانَ بِخَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ**. أي سأجعلهم لا يحلمون بنصر بعد اليوم، وكانت معركة اليرموك التي هي أول معارك خالد بالشام.

في هذه المعركة ظهرت عبقرية خالد كما لم تظهر من قبل، فهي بحق قمة معارك خالد وهي أيضاً واحدة من أهم المعارك في تاريخ الإسلام كله ربما لكبر حجم المعركة، وربما للعدد الهائل من الصحابة الذين شهدوها، فلقد شهد اليرموك ألف رجلٍ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيهم نحو مائة من أهل بدر - وجميع أهل بدر كانوا ثلاثمائة وثلاثة عشر بديراً .

و كانت الهزائم قد تتابعت على الروم فقرر هرقل أن يدخل في معركة حاسمة: فإما أن تكون الشام له كلها أو أن يخسرها كلها. فجهز للمعركة كل ما يملك واستتفر إليها كل من يقدر على حمل السلاح، حتى الرهبان نزلوا من الصوامع ليحمسوا الجند ."

وجاء الأمر من عمر بعزل خالد لأسباب سنعرض لها بعد قليل، لكن من عظمة شخصية خالد أنه لما بلغه أن عمر عزله وجعل أبا عبيدة على الجيش بدلا منه قال: بُعِثَ عَلَيْكُمْ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبُو عبيدَةَ بَنُ الجِرَاحِ، فقال أبو عبيدة: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: خالِدٌ سيفٌ من سيوفِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، نِعَمَ فتى العشيِرة. **صححه الألباني.** فأمثال هؤلاء الرجال هم المخلصون حقا الذين لا تغيّرهم المناصب!!.

وصارت القيادة لأبي عبيدة ﷺ فاجتمعوا واتفقوا على الانسحاب من كل الشام حتى يصيروا أقرب إلى الصحراء فمنها يأتيهم المدد من عمر، وإليها يمكن أن يأووا إذا صارت الأمور على غير ما يشتهون.. وكانت حشود الروم تقترب من 300 ألف وعدد المسلمين حوالى 36 ألف فقط، فجاء خالد إلى أبي عبيدة وهو يرى الحشود فطلب طلبا لا يقدر عليه إلا إنسان مخلص لله، فقد طلب خالد من أبي عبيدة أن يرد إليه قيادة الجيوش فقط أثناء هذه المعركة، فهذه المعركة لا تتحمل تأخير في بعض القرارات حتى لو كان الرجلين متفاهمين، وكان أبو عبيدة من أقرب الناس إلى خالد وأحبهم إليه، فأصدر أبو عبيدة أمرا إلى كافة القادة أن أطيعوا خالدا، فلما بلغ الأمر معاذ بن جبل قال:

**أيها الناس أما والله إن تطيعوه لتطيعن مبارك الأمر
ميمون النقيبة حسن النية .”**

وعلم خالد بما قاله معاذ.. فقال:

أما والله إنني لأحبه في الله، ولقد سبقت له وإخوانه سوابق لا ندركها ولا نبلغها

وقبل أن تبدأ المعركة خرج فارس من الروم يطلب المبارزة، وكان عظيم الجثة كأنه جبل، فخرج إليه ميسرة العبسي وهو شيخ قبيلة عبس فرده خالد وقال: أنت شيخ، وهذا الرومي شاب ولا أحب أن تخرج إليه.. فخرج عمرو بن الطفيل وكان شابا صغيرا فرده خالد أيضا وقال: حديث السن ولا تقدر عليه، فخرج الحارث الأزدي، فقال خالد: نعم، ثم قبل أن يصل إليه رده، وقال: هل بارزت مثله من قبل؟ قال لا.. قال: إذن فارجع.. فقال قيس بن هبيرة (وهو فارس مغوار، كان أبو بكر لا يرى في العرب مكافئا لخالد غيره): يا خالد.. كأنك تُحوط عليّ.. فقال خالد: نعم إما أن تخرج أنت أو أخرج أنا إليه.. فخرج إليه قيس فما أن وصل إليه حتى ضربه ضربة فلقت رأسه قبل أن يبدأ المبارزة!!! وخالد كان أعلم بجنوده وطاقاتهم.

فكبر الجيش. ولكن خالدا كان رأيا آخر عجيبا.. قال "ارجع يا قيس فاهجم عليهم.. في مشهد مهول حيث فارس واحد يهجم على جيش!! لكنها الحرب النفسية التي يتقنها خالد ويعرف من جنوده من يستطيع عمل ذلك. وبالفعل رجع قيس فحرك سيفه أمام صفوف الروم وهم يتراجعون رعبا منه وقد رأوا كيف هد هذا الجبل بضربة واحدة.

والواقع أن خالدا لم يكن مترددا كما تردد في هذا الموقف وربما لأنه أراد أن يعالج نفسية جنوده وقد انسحبوا من كل الشام وكل المدن التي فتحوها ورجعوا إلى الصحراء، فأراد ألا تبدأ المعركة بنكسة أخرى، فلما نجح قيس أراد أن يستغل هذا الإبهار بكسر نفسية الروم وهم يرون فارسا واحدا يهجم عليهم ويرفع معنويات المسلمين بهذا العمل الخارق.. وتلك خارقة أخرى لخالد.

غير أن الروم لما زحفوا اختاروا مكان المعركة "ضيق المهرب" فلا يكون هناك أمل للروم سوى النصر، وتحرك جيش الروم بعرض خمسة كيلو مترات وعمق خمسين متر.. ومثل هذا الزحف يوقع الرعب في نفس أي قائد.

هنا ظهرت صورة أخرى من عبقرية خالد.. فذهب لأبي عبيدة وقال: " إن هؤلاء قد أقبلوا بعدد وجند وإن لهم شدة لا يردها شيء وليست خيلي بالكثيرة ولا تصمد أمام خيلهم أبدا. قال خالد ذلك والجيش يتحرك (لاحظ أن خالد يرجع إليه ليستشيره رغم أن أبا عبيدة دفع إليه القيادة العامة للجيش، وتلك من توافقيات خالد وأبي عبيدة الرائعة).. فنظر إليه أبو عبيدة بقلق وقال: فما الرأي يا أبا سليمان؟ قال خالد: أرى أن انسحب بخيلي فلا أقاتل، وأقسمها بيني وبين قيس بن هبيرة فإذا انتصر المسلمون فبها ونعمت، وإلا دخلت المعركة وخيلي مرتاحة بعد أن يكون المشاة قد أنهكوا الروم .

كان خالد يعول على بطولات الصناديد من الصحابة والتي لا يتسع المجال هنا لذكرها، لكنه بمشورة أبي عبيدة اختار لقيادة المشاة في هذه المعركة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص (عمه سيدنا سعد بن أبي وقاص) ، وقال أبو عبيدة وقتها: حين سئل عن يختاره على المشاة ، قال: أُولِيهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَنْ لَا يُخَافُ نَكْوَلَهُ وَلَا صُدُودَهُ عِنْدَ الْبَأْسِ، أُولِيهَا هَاشِمُ بْنُ عَتَبَةَ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، وَكَانَ هَاشِمٌ عِنْدَ حَسَنِ الظَّنِّ بِهِ حَتَّى أَنَّهُ فَقِنْتُ عَيْنَهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ الْمَعْرَكَةِ.

وأوشك الروم أن ينتصروا، وخالد يفكر ويبحث عن الثغرة... وأخيرا وجدها.. فقد رأى خالد أن فرسان الروم قد غرهم الانتصار الوقتي وأنهم واصلوا الزحف حتى وصلوا إلى نساء المسلمين في الخلف تاركين بقية جيشهم من المشاة، ورأى خالد أن الثغرة التي يبحث عنها قد وجدت، لأن مشاة الروم صاروا الآن بغير حماية من فرسانهم وصار الفرسان في عزلة عن بقية الجيش. وهنا أصدر خالد قراره الحاسم بالتحرك في مجموعتين: مجموعة بقيادته اندفعت نحو مشاة الروم والذين أنهكهم التعب وظنوا أنهم على بعد خطوة واحدة من النصر فإذا بهم أمام معركة تبدأ من جديد.. ومجموعة ثانية اندفعت خلف فرسان الروم يطاردونهم إلى الصحراء.

وحاول بقية جيش الروم الانسحاب فوجدوا المكان "ضيق المهرب" فقتل منهم الآلاف في أقل من ساعة واحدة. وجاء الفرج بعد الكرب بفضل الله تعالى. ثم بفضل هذه الخطة الألمعية من ذلك القائد الفذ.

الخلاف بين خالد وعمر

يحلو لبعض ضعاف النفوس من المؤرخين التغنى بأن العلاقة بين عمر بن الخطاب وخالد بن الوليد كانت علاقة سيئة، مستدلين على ذلك بأن أول شيء فعله عمر بعد خلافته هو عزل خالد. والواقع أن عمر كان يعيب على خالد أمرين ذكرهما بوضوح في تبرير عزله لخالد حيث قال:

إني ما عتبت على خالد إلا في تسرعه، وما كان يصنع في المال.

وفى رواية أخرى برر عمر فيها بوضوح اعتراض عمر على طريقة تعامل خالد في موضوع الغنائم، حيث قال عمر:

**أمرته أن يحبس هذا المال على ضعف المهاجرين فأعطاه
ذا البأس، وذا الشرف واللسان، فأمرت أبا عبيدة.** رواه البخاري

فعمر إذن كان يرى سرعة تصرف خالد في الحرب نوع من التسرع والتهور غير المقبول من عمر لأن ذلك من الممكن أن يتسبب في أخطاء -كما حدث بالفعل مع خالد - بالإضافة إلى اعتراض عمر على طريقة خالد في توزيع الغنائم.

على الجانب الآخر نجد شخصية خالد العظيمة تظهر تفهمها لموقف عمر في هذين الأمرين، لكن في نفس الوقت أوضح خالد وجهة نظره وسبب مخالفته لعمر فيهما، حيث قال خالد في مرضه الذي مات فيه:

قد عتبت عليه في نفسي في أمورنا تدبرتها في مرضي هذا عرفت أن عمر كان يريد الله بكل ما فعل ، وكنت قد شعرت بالأسى في نفسي حين بعث إلي من يقاسمني مالي ، حتى أخذ فرد نعل وترك الأخرى ، ولكنه فعل ذلك بغيري من أهل السبق ، وممن شهد بداراً ، وكان يغلظ علي ، وكانت غلظته على غيري قريبا من غلظته علي .

يلخص خالد من وجهة نظره سبب الخلاف في جملة صغيرة حيث يقول:

ولقد كنتُ في حرب ومكيدة، وكنت شاهدا وكان غائبا، وهذا عذري في مخالفته

فالخلاصة أننا أمام أسلوبين مختلفين في السعي لمرضاة الله، فخالد رجل عسكري يبحث عن الفرصة ولا يتأخر في انتهازها دون أن يستأذن من خليفة أو غيره، وعمر يرى أنه يجب أن يستشار في كل شيء ليضمن سلامة المسلمين، كما يرى نفسه مسئولا أمام الله عن كل درهم ينفق في الدولة وعن طريقة توزيعه.

ومن هنا كان الخلاف ، وهو كما ترى اختلاف في طريقة الوصول إلى مرضاة الله وليس فيه هوى شخصي ولا ثارات قديمة كما يزعم بعض المؤرخين .

وفاة خالد

لما حضرت خالد الوفاة سنة 21هـ جعل يبكي ويقول:

**مَا مِنْ عَمَلِي شَيْءٍ أَرْجَى عِنْدِي بَعْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِنْ لَيْلَةٍ شَدِيدَةِ الْبَرْدِ
فِي سَرِيَةٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ بَيْتَهَا وَأَنَا مُسْتَنْدٌ عَلَى دَرْعِي وَالسَّمَاءُ تَنْهَالُ
عَلَيَّ تَمْطِرًا إِلَى الصُّبْحِ، حَتَّى نَغِيرَ عَلَى الْكُفَّارِ.**

وقال أيضا في مرضه وفاته: لَقَدْ حَصْرْتُ كَذَا وَكَذَا رَحْفًا، وَمَا فِي
جَسَدِي شِبْرٌ إِلَّا وَفِيهِ ضَرْبَةٌ سَيْفٍ، أَوْ طَعْنَةٌ بِرُمْحٍ، أَوْ رَمِيَةٌ بِسَهْمٍ، وَهَذَا
أَنَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي حَتَّى أَنْفِيَ كَمَا يَمُوتُ الْبَعِيرُ،

فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجَبْنَاءِ

ولما علم عمر بوفاته، قال:

**”رَحِمَ اللَّهُ أَبَا سُلَيْمَانَ.. كَانَ وَاللَّهِ عَلَى مَا ظَنَنَّا بِهِ.. كَانَ
وَاللَّهِ سَدَادًا لِنُحُورِ الْعَدُوِّ، مَيْمُونًا لِنَقِيبَةِ.“**

وسمع عمر أمَّ خالد تَنَدُّبُهُ وَتَقُولُ:

أَنْتَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ مِنَ الْقَوْمِ ... إِذَا مَا كَبْتَ وَجْهَ الرَّجَالِ.

فقال: صدقتِ والله، إنه كان كذلك. ثم قال لها: يا أم خالد.. أخالد وأجره تخسرين؟ عزمت عليك ألا تبيتين الليلة إلا وقد خضبت يدك بالحناء.

والجميل أن خالد أوصى أن يقوم عمر على وصيته وقد جاء فيها: وقد جعلت وصيتي وتزكّتي وإنفاذ عهدي إلى عمر بن الخطاب، فبكى عمر رضي الله عنه، فقال له طلحة بن عبيد الله أنت وإياه كما قال الشاعر:

لا ألفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي

ولما كثر بكاء نساء بنى مخزوم على خالد في المدينة بعد وفاته قيل لعمر ألا تنهاهنّ، فقال: دعهن يبكين،

على مثل أبي سليمان تبكي البواكي



مسجد وقبر خالد بن الوليد بحمص